المقياس: فلسفة التاريخ و الحضارة

المستوى:الأولى ماستر

المحاضرة : الخامسة

عنوان المحاضرة:دور البطل و صنع التاريخ

الأستاذة:ف.شرماط

-تنطلق نظرية التاريخ الحديثة من تجاوز فكرة العناية الإلهية التي ترجع حقيقة الفعل التاريخي الى القوة و الإرادة الإلهية، فلا فعل حسبها يخرج عن نطاق التخطيط المتعالي

وقد سبق و أن رأينا أن التفاسير الدينية للتاريخ لم تتجاوز فكرة أن كل ما يحدث من ظواهر طبيعية و أحداث تاريخية خاضعة للعناية الإلهية التي توجه ارادة الإنسان لصناعة الفعل و من ثمة صناعة الحدث التاريخي.

غير أن الرؤية الحديثة للتاريخ لم تتوقف عند هذا التفسير بل حولت الإستشكال الدائر حول مركزية الفعل التاريخي إلى إمكانيات التشارك في الفعل التاريخي،من الناحية الوقعية هناك فرد أو جماعة من الأفراد يقفون وراء صناعة التاريخ ، و لذلك طرح الإشكال التالي:

هل التاريخ صناعة فردية أم جماعية؟ و مامدى تأثير الفرد و الجماعة في تغيير الأحوال و الأحداث؟ أي هل يمكن قراءة التاريخ قراءة تختلف شكلا و مضمونا عن ما كان سائدا في

القراءات السابقة؟ و هل تتمكن الفلسفة من رد الإعتبار للمفكرين و الأبطال و الزعماء و القادة و الملوك و الفلاسفة و غيرهم المكانة التاريخية التي يستحقونها؟

في حقيقة الأمر لقد إختلف الفلاسفة و الدارسين للتاريخ حول من يصنع التاريخ فمنهم من رده إلى الفرد البطل على إعتبار أن له قوة فكرية و جسدية و إمكانات أخرى تختلف عن بقية أفراد مجتمه، و منهم من فسر الفعل التاريخي بأنه نتاج وعي الشعوب و قابليتهم للتغيير.

يرى الفيلسوف الفرنسي **فولتير** أن التاريخ هو نتاج فلسفي و فكري عميق فالذي يؤسس لصناعة التاريخ هو الفيلسوف و الأديب و الفنان ... فهم الأبطال الحقيقيون الذين يبثون في نفوس الشعوب الوي و أدوات التغيير نحو مستقبل يخدم الأجيال لبشرية القادمة. و في المقابل يمكن القول أن أي تغيير يؤدي إلى تحسين وضع ما يصنع بطلا.

إن **فولتير** يؤكد لى أن البطولة يمكن أن يشترك فيها اللماء و الفلاسفة إلى جانب القادة والملوك لما يتمتعون به من قدرات عقلية تتمثل في الذكاء و سرعة البديهة و العبقرية التي من شأنها تغيير الكثير من الأحداث.

و يتحدث **توماس كارلايل** في كتابه الشهير:"الأبطال و عبادة البطولة" على أن البطل هو من يصنع التاريخ و الحدث في العالم و هذا ما يؤكده في قوله :" أن التاريخ العام و تاريخ ما أحدثه الإنسان و العالم إنما هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء، فهم الأئمة و هم المكيفون للأمور و هم الأسوة و القدوة و هم المبدعون... فكل ما بلغه العالم و كل ما تراه

قائما في هذا الوجود كاملا متقنا فاعلم أنه نتيجة أفكار هؤلاء العظماء....فروح تاريخ العالم هو تاريخ اولئك الفحول."-من كتاب:فلسفة التاريخ لمصطفى النشار ص42-

إن المعنى الحقيقي للبطل عند **كارلايل** هو ذلك الشخص الذي يتمتع بإمكانيات راقية من الفكر و الذكاء و القوة و الشجاعة و غيرها من الصفات الإيجابية لشخصية البطل و بهذا يكون **كارلايل** قد وسع من دائرة مهام البطل فلم يعد مفهوم البطل يقتصر على القادة السياسين و العسكرين فقط بل البطل أيضا أديب و فيلسوف و فنان و نبي و قسيس و ملك و زعيم سياسي و عسكري.

و من جهة أخرى نجد **سدني هوك** يفند نظرية **كارلايل** حيث يرى أن التاريخ يصنعه الزعماء الأقوياء الذين يتمكنون من السيطرة على الرأي العام عن طرق الإعلام و أجهزة الصحافة المختلفة، فما صنعه هيتلر في مطلع القرن العشرين خير دليل على أن الزعامة يجب أن تكون مدعومة من قوى خفية توجه الحشود بلغة حماسية و دافعية إنفعالية و نفسية قوية لتغير مجرى الأحداث التاريخية، إن الذي يتحكم في صناعة الوعي للشعوب هم القادة الأقوياء كهيتلر و موسيليني فحسب رأي **هوك**:" منذ اللحظة التي يصل فيها الزعيم إلى الحكم تطبل أجهزة الدعاية و تزمر لجهوده باعتباره السبب المباشر في كل الإنجازات الوضعية ..."-من كتاب فلسفة التاريخ مصطفى النشار،ص 45-

إن الناس دائموا التطلع إلى من ينقذهم و يخرجهم من وضعية مأسوية معينة، و لذلك فهم يصنعون البطل في مخيالهم قبل أن يتجسد في الواقع، و على هذا يختار البطل لحظة بروزه في المجتمع على أنه المخلص و بيده قوة التغيير أي أن البطل تهيئه الظروف السياسية و

الإجتماعية التي تسود الوضع قبل ظهوره كبطل حقيقي. و على هذا يرى **هوك** أنه كلما أشتدت الأزمة كلما كانت الظروف مناسبة لتهيئة البطل المنقذ و كذلك للدعاية الإعلامية دور رئيسي في التحكم في الطرفين البطل من جهة و الشعوب من جهة ثانية.

يذهب الفيلسوف الألماني **هيجل** إلى أن الأبطال صناع التاريخ هم أشخاص متميزون لأن غاياتهم الخاصة تتوافق مع ارادة روح العالم، إنهم يتمتعون بقوة باطنية عقلية و روحية تدفعهم إلى تغيير الأوضاع السائدة بقوة تفكيرهم و مدى موافقتهم لروح العصر.

يرى **هيجل** أن التاريخ صناعة بطولية و أحداثه تستجيب لمتطلبات العصر و لذلك يستوجب من البطل أن يكون بطلا حقيقيا يصنع الحدث لأن الوضع الإجتماعي و السياسي....يتطلب التغيير و ليس من أجل الشهرة أو المكانة التي سيحظى بها .فخدمة الأغراض الشخصية ليست من إهتمامات البطل بل الذي يدفعه الى مواجهة الواقع و الأزمات هو روح العالم، وروح الفكر و العقل.

في الأخير يمكن القول أن التاريخ لا يصنع نفسه بنفسه و إنما هو خلاصة لتراتبية زمانية إلى جانب فعل البطل و المجتمع في تحقيق التكامل الوجودي.